العلوم عند العرب

أ. أحمد السيفاو القنصل

مقدمة

نتصور منذ البداية أن البحث في موضوع العلوم عند العرب موضوع شائك، ويحمل الكثير من الصعوبات والإشكاليات خاصة وأننا وجدنا أغلب المراجع والمصادر التي تتناوله تكتفي بالسرد التاريخي لكل جهود العلماء العرب قديماً وحديثاً، وهناك من يكتفي بالمدح ويثني عليهم وينصفهم وهناك من يقلل من شأنهم ويعتبرهم مجرد ناقلين للفكر والتراث اليوناني وهذا ليس عيباً في حد ذاته فالحضارات كما هو معروف لدينا جميعاً تأخذ من بعضها البعض وقد تطور وتضيف، وهذا ما حدث بالنسبة للحضارة الغربية والتي استفادت من كل علوم الحضارة الإسلامية خاصة وأن الحضارة الإسلامية قدمت كل علومها إلى العالم ولم تحتكر العلم في الوقت الذي كانت فيه أوروبا متخلفة جداً زمن العصور الوسطى حيث كانت الكنيسة تحارب العلم والعلماء وتكرس كل جهودها لتكريس الجهل والتخلف حفاظاً على امتيازاتها.

أسباب اختيار الموضوع:

1- إذا كانت الحضارة الغربية تقدمت بفضل نقل علوم الحضارة الإسلامية وجهود العلماء العرب لماذا تقدم الغرب وتخلفنا نحن؟
2- كيف وظفت جهود العلماء العرب لصالح الغرب؟
3- إذا كانت أوروبا ساهمت في فرض التخلف على العرب نتيجة لظروف الاستعمار واحتكار التقنية هل يكفي هذا لأن نجعله شماعة نعلق عليه تخلفنا ألم تدمر اليابان واستطاعت النهوض من جديد؟
4- هل تخلف الأنظمة السياسية في الوطن العربي جعلها تضحي بعقول علماءها لصالح الغرب بعد أن تكون قد أنفقت الكثير من الأموال على تعليمهم ثم تقدمهم للغرب لكي يستفيد منهم؟
5- هل تخلف الأنظمة العربية وتبعيتها للغرب جعلها لا تشجع البحث العلمي ولا تهمها مصلحة شعوبها في تحقيق التقدم والرقي بحيث تساعد على هجرة عقولها؟
6- لماذا لا تحاول التفكير في منهج جديد يتأسس على المبادرة بحيث يمكّننا من بناء مشروع نهضوي يجعلنا نتفادى كل السلبيات ونوظّف علومنا ونساهم في بناء حضارتنا العربية من جديد؟

7- الاكتفاء بالتباكي على الماضي ومديح الأقدمين لن يفيدنا في شيء وعلينا أخذ العبرة منهم لكي نتقدم إلى الأمام بالعلم والعمل.

وسنحاول من خلال قراءة نقدية تحليل الأوضاع السياسية والاقتصادية للوقوف على أسباب التخلف لأننا إذا كنا نمتلك كل هذه الجهود العلمية وكل هذه الإسهامات والتي تزخر بها كتب التاريخ وأقصد تاريخ العلوم عند العرب لماذا نحن متخلفين؟ وكيف نتسامح مع أنفسنا ونحن نمتلك هذا الكم الهائل من التراث العلمي؟

مصطلحات البحث:

- **السلفية:** سلف في لسان العرب: تقدم. والسلف والسليف والسلفة بمعنى الجماعة المتقدمون: [1] قال تعالى { فجعلناهم سلفا}(الزخرف، الآية 56) وهي تطلق بالمعنى العام كل دعوة إلى الاقتداء بالسلف الصالح والتمثل به في العبادات والمعاملات وتعني الماضوية التي تقوم بإعادة تقييم وتنشيط ماضي السلف.
- **الأصالة:** الأصالة من الأصل وهي لغة: ما يفتقر إليه ولا يفتقر إلى غيره وشرعاً ما يبنى عليه غيره، وعند الفقهاء يطلق الأصل كما يطلق على القاعدة الكلية والأصالة تعني التمسك بالأصل المبدأ وعدم الحياد عنه وهو الإسلام ويعني أصل العائلة والدولة والملكية الخاصة.
- **المنهج:** هو المنهج بمعنى الطريق الذي يسلكه الباحث للوصول إلى نتائج يقينية.
- **الحداثة:** حدوث، إمكان وجود بعد عدم ويطلق مصطلح الحداثة على التقدم الذي أحرزته أوروبا في العصر الحديث وقيام النهضة الصناعية الحديثة بعد تقدم العلوم التقنية.

الفصل الأول

أولاً: الصورة التقليدية لتاريخ العلوم عند العرب:

لا نريد أن ننكر جهود العلماء العرب الذين ساهموا مساهمة فعالة في تقدم العلم لأن العلم عنصر هام وأساسي في تقدم الشعوب والأمم، وهو أحد مقاييس رقي الأمم وتحضرها فبقدر ما تكون الأمة متقدمة علمياً بقدر ما يكون مستواها مرموقاً أو العكس بالعكس ومن المفيد الإطلاع على إنتاج المفكرين والمؤرخين الذين عالجوا هذه المسألة وفي طليعتهم بن خلدون (1332-1406م) في مقدمته الشهيرة والتي جاء فيها (من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم من العجم) (بن خلدون،1962م، 1030) والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضا الحال أحوال السذاجة والبداوة.. لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف.. كانت الأمية صفة عامة في الصحابة (عبدالله، 2008م، 112).

ونظراً للتداخل الذي حصل بين العلماء العرب والعجم تحت خيمة الحكم الإسلامي، واستخدامهم لغة واحدة، ونهلهم العلم منة مصدر واحد، وتوحد مناطق النفوذ الإسلامي في الحضارة في فترة زمنية معينة تحت لواء الدولة الإسلامية إلى جانب الالتقاء بين (الفكر الإسلامي وبين التيارات الثقافية والعلمية في الحضارات القديمة خصوصاً الحضارة اليونانية) (أبي اصبيعة د:ت).

الأمر الذي أدى إلى ظهور العديد من العلماء أمثال: ابن الهيثم (965-1039م)، فلكي ورياضي من أهل البصرة، قصد القاهرة إبان الحكم الفاطمي وكان قد سبق "روبرت ميرتين" بقرون عدة في تحديده اخصال وميزات العمل العلمي. إضافة إلى العلماء الذين اعتمدوا في بحوثهم على التجربة مثل جابر بن حيان والرازي وابن سينا وفي علم الفلك، كما اشتهر العرب بمخطوطاتهم التي استخدموا في كتابتها ورق البردي، الذين تعلموا صناعته من الصين منذ القرن الثامن في سمرقند ثم أقامت الدولة العربية في بغداد مصنعاً للورق في منتصف ذلك القرن علماً بأن أوروبا لم تعرف إنتاج الورق حتى سنة 1150م على يد العرب في أسبانيا. كما أنشأ الرشيد بيت الحكمة وكانت أكاديمية كبيرة في بغداد زمن المأمون وزاد الاهتمام بالفلسفة ونشطت حركة الترجمة كما هاجم علماء العرب منطق أرسطو بشدة (لأن أرسطو قد حصره في نظرية القياس والقياس عقيم لأن إنتاجه متضمنة في إحدى المقدمتين فضلاً على أن العرب وجدوا في طرق البرهان الأرسطية خطراً على سلامة الدين ومن ثم نادوا بالمنهج المغاير وهو الاتجاه التجريبي والذي أخذه الغرب فيما بعد) (محمد، 1995م)[1] ولأنني لا أريد أن أقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه بعض الكتاب وهو السرد التاريخي واكتفى بهذا القدر.

فالعلم إنما هو صورة المعلوم في نفس العالم وضده الجهل وهو (عدم تملك الصورة في النفس وعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، وعمل بلا علم خير من علم بلا عمل) (الموسوعة، د:ت، 1038) وقديماً قالوا: (فمن تعلم العلم الطبيعي ولم يعرف الكيمياء فقد عدم من شجرته أشرف ثمرها) (عبدالله،2008، 116).

ثانياً: الترجمة:

لقد قام العلماء العرب بترجمة التراث اليوناني كما أسلفنا ولكن لم يقوموا بتشويهه كما يدعي علماء الغرب من غير المنصفين حيث أخذوا منه وأضافوا إليه وصححوا بعض الأخطاء والمغالطات الموجودة. فالترجمة كانت أبعد من كونها مجرد نقل وتعريب وإنما هي حركة شاملة ونشطة ومستهدفة، وإن كان من لا يمنع من القول بأن الترجمة ساعدت في تحديد مفهوم العلم العربي سلباً وإيجابياً سواءً عند اليونان أو عند غيرهم من شعوب العالم القديم. وإنجازات العرب

الكثيرة في مختلف العلوم تعبر عن صدق وأصالة على عبقرية العرب وتفوقهم وإنهم لم يكونوا مجرد ناقلين للتراث اليوناني القديم، وإنما ساهموا مساهمة فعالة في تقدمه وأضافوا إليه إضافات جديدة مبتكرة مستندين في ذلك إلى تنظيم عقلي وقواعد منهجية ثابتة هي محل النظر في رسوخ العلم وأصالته ولا ننكر أن العرب قد اطلعوا على التراث العلمي في الحضارات السابقة شرقية كانت أم يونانية فحملوا المشعل كما حملته سائر الأمم (لأن الأمة التي تقدم رسالة حضارية يجب أن تعي ذاتها أولاً لكي توعي الآخرين) (المسلاتي، د:ت، 52).

كما إن العلم الوافد من تلك الحضارات الشرقية وغيرها لم يكن ليصل إلينا وإلى هذا المستوى من النضج والتطور لولا جهود وإسهامات العلماء العرب: كالرازي وابن سينا وابن الهيثم وابن النفيس وجابر بن حيان والخوارزمي والمجريصي وابن البيطار، والخازن والزهراوي وغيرهم كثير كما أسلفنا لقد ترك هؤلاء العلماء أبحاثاً عظيمة ومؤلفات قيمة في مختلف أنواع العلوم والفنون صححت ما سبقها ومهدت لما لحقها مما مكنها من ربط الماضي بالحاضر والقديم بالحديث فأيقظت الأوروبيين من غفوتهم وعاشت بينهم أفكار الحسن ابن الهيثم في علم الضوء ردحاً طويلاً من الزمن وكذلك أبحاث الطوسي في الرياضيات وتناوله لهندسة اقليدس ومصادراته كما ظلت مؤلفات الرازي وابن سينا المرجع الأساسي للطب في معظم الجامعات الأوروبية إضافة إلى اكتشاف المنهج التجريبي (المتمثل في الملاحظة والتجربة حيث كان لهم فضل السبق على الغرب وعلمائهم في المناهج لاسيما بيكون وجون سثيوارت مل) (حلاق، د:ت، 11-12).

الفصل الثاني

الاتجاهات والتيارات المختلفة داخل العالم العربي:

- **الاتجاه الأول:** وهو اتجاه تابع لليونان بالكامل على اعتبار أن اليونانيين هم المبدعين الأوائل وإن الفلاسفة المسلمين مجرد شارحين للفلسفة اليونانية والعلم اليوناني لأن فلسفتهم فلسفة تلفيقية فقط، وإن الفلسفة اليونانية هي (الصورة الكاملة الأولى للفكر الفلسفي الإنساني) (أبوريان، 1983، 6).
- **الاتجاه الثاني:** وهو اتجاه إصلاحي لأنه يرى أن العلم اليوناني به قصور وليس كما يدعي المتميزون من علماء الغرب حيث قرأ هذا العلم وحاول إصلاح أوجه القصور فيه واستكماله بالإضافة إلى محاولته التوفيق بين العلم اليوناني والدين الإسلامي حتى تعرض للنقد الشديد حيث واجه هذا النقد لكل من الكندي والفارابي، إلا أن الفارابي قدم بعض الإصلاحات الجديدة في اللغة والمنطق.

الاتجاه الثالث: وهو الذي رفض العلم اليوناني جملة وتفصيلاً كما رفض كل المناهج اليونانية وأقام العلم على أسس جديدة باعتباره أكثر التزاماً بالأصالة ويتزعمه علماء الكلام من فلاسفة وصوفية وبالرغم من ذلك (كانوا الأكثر بعداً من مجالات الدراسة) (عبدالله، 2008، 6) ولهذا لم يتحقق الهدف المنشود وهو بعث الحضارة الإسلامية من جديد وصنع التقدم والحياة كما اتسع الصراع بعد ذلك بين علماء الإسلام أنفسهم هناك من يعتبر أن الدين والعلم متلازمان وهناك من يرى عكس ذلك. فالغزالي على سبيل المثال يرى أنه لابد من وجود تعاون بين
العلم والدين يُكمّل أحدهما الآخر لأن العقل لا يهتدي إلا بالشرع والشرع لا يتبيّن إلا بالعقل بقوله: (لزوم العلم، والعمل بالعلم ودوام الوقار ومنع التكبر، والرفق بالمتعلم، وترك التكلفة واستماع الحجة والقبول بها وإن كانت من الخصم) (الغزالي، 1980م، 10).

ومع كل هذه الآراء لم يسلم المجتمع الإسلامي من الصراع مع ظهور مصطلح الحداثة عند الغرب والأصالة عند المسلمين وفي خضم هذا الصراع انقسم علماء الإسلام إلى ثلاثة اتجاهات أيضاً ومنها على سبيل المثال:-

1- أنصار القديم.

2- أنصار التجديد أو الحداثة.

3- أنصار الإفادة من القديم والجديد معاً.

وهكذا نجد المسلمون وفقاً لهذا التقسيم انقسموا إلى ثلاثة مجموعات (قسم مستنصر للقديم) (الغزالي، 1980م، 10) ويليه القسم المستنصر للجديد، وقسم مؤمن بالإفادة منهما معاً في الوقت الذي يعتقد الكثيرون، ومنذ القرن الثاني الهجري أن الصراع لا يمكن حسمه بين المجموعة الأولى والثانية إلا بالاعتماد أو اعتماد طرف، واستبعاد آخر كما عمد أنصار القديم إلى نفي الآخر بمعنى نفي الحاضر الذي يتسم بالحداثة وكذلك المستقبل معتبرين الماضي زمناً يتسم بالإطلاق وهم يعتبرون أن ما وصل إليه الفكر في فترة محدودة من التاريخ ثابت لا يتغير، ولا يتبدل إنها دعوة إلى الجمود والتحجر وهذا لم يلقَ قبولاً بالتأكيد من ذوي العقول النيرة إنها دعوة إلى التخلف، وهذا يتعارض مع أنماط الحضارة المعاصرة ولا يمكن قبوله بأي حال من الأحوال يريدون تطبيق المثل القائل: (ليس في الإمكان إبداع مما كان) (الشابي، 1989م، 93) وهذا مخالف للشرع لأن القرآن الذي يدعو إلى العلم والتأمل والتفلسف في كل شيء وإعمال العقل.

إذن التوقف عند نقطة واحدة مرفوض لأنه مخالف لسنة الحياة التي تتطلب دائماً الحركة، والتغيّر، والتجديد خاصة وأن الحداثة تتطلب أو تقتضي تغيرات كثيرة قد تتناول كل النواحي الاجتماعية، والسلوكية كما تفرض بعض التحولات في القيم والأفكار ولذلك نجد أن كل مجتمع له

دور في الحداثة وفي أنماط السلوك لأن الإنسان يسعى دائماً على الأفضل، حتى وإن كانت الحداثة نسبية ولا تعرف شيئاً اسمه الثبات أو الاستقرار إلى أن تصبح مع مرور الزمن من صميم الأصالة نفسها وما نعتبره اليوم حديثاً قد يصبح بعد مرور مدة من الزمن عند الأجيال القادمة قديماً، وقد تظهر حاجة المجتمع إلى التغير فتظهر حداثة جديدة.

وهكذا فالتغير يصبح ضرورياً أحياناً للخروج من التخلف وهذا لا يمنع أن يكون هناك صراع، ومقاومة من أنصار القديم الذين دائماً يحنّون أو يفضّلون العيش على النمط القديم الذي

عاش عليه أجدادهم وهذا هو الحنين إلى الماضي ويظهر ذلك واضحاً عند هؤلاء عندما يلاحظون التقدم التكنولوجي خاصة في مجال الصناعة ينظرون إليه على أنه آخر زمن وخروج عن الأصالة في الوقت الذي يحتاج الإنسان فيه إلى تطوير الآلات والمعدات التي تمكنه من زيادة الإنتاج والاستمرار في تطويرها أيضاً ولو أن الإنسان توقف (عند حد إنتاج الأشياء فحسب لما استطاع أن يسير على الدرب الطويل البطيء المؤدي بنا إلى الترقي من مستوى الفرد إلى مستوى الإنسانية إلى مستوى صنع الحضارة) (ابراهيم، 1971م، 18).

وعليه بإمكاننا القول بناءً على هذا التحليل أن كلاً من الحداثة والأصالة تنطويان على مفهوم واحد يتناوله زمنان مختلفان هما الماضي والحاضر وعليه فإن ما يسمى بالصراع بين الأصالة والحداثة، وإقرار قطيعة بينهما تعبر عن عدم وعي وجهل بل وسذاجة أيضاً بعيداً عن التفكير السليم وعن حركة التاريخ وأسباب الرقي. فالأصالة لا تعني الجمود والحداثة لا تعني بالضرورة الخروج عن الأصالة لقد اعتبر الإسلام الماضي مرجعاً لا غنى عنه، والحضارات السابقة إرثاً إنسانياً وإن تعاقب الحضارات تعاقباً تعويضياً لذلك استوعبت الحضارة العربية أدب الفرس ونظامهم، وعلم اليونان وحكمتهم، ورياضيات الهنود وفلكهم وسبقتها في الفضاء الروحي للإسلام وهكذا. فالصراع يوجد دائماً بين القديم والحديث والقوي والضعيف والحق والباطل والخير والشر ولكن انشغالنا بالتفكير في الصراع فقط وأسبابه والفرقة وظهور الفرق والأحزاب وكل متعصب إلى رأيه ويعتقد أنه هو الوحيد يمثل الحقيقة وإن الآخرين كلهم مخطئون شتت جهود الأمة وشل قدراتها العلمية وفي غيابنا على الساحة استطاع الغرب أن يوظف كل الجهود العلمية لمصلحته ويستغل العلم كما يحلو له في الجوانب الإيجابية والسلبية ويشن الحروب ويخلق الأزمات ويسلب وينهب ثروات الشعوب ويمتلك أسباب القوة والتي بفضلها استطاع دعم الصهاينة لاحتلال فلسطين بحيث أصبح مستقبل العالم رهيناً برؤيته (الأقوياء والمنتصرين) اللذين يدعمهم الثيتو ويحتكرون العلم والتقنية ويقسمون العالم كما يشاءون هناك دول نامية والتي لم يكتمل نموها منذ ستون سنة بسبب

سياسة التبعية والاستعمار والتغريب والهيمنة على مقدرات العالم الأمر الذي سبب الإحباط عند علماء الأمة وجعلهم يهاجرون إلى الدول الاستعمارية وكان التحديث والتقدم أصبح يعني في عرف الغرب يعني اللحاق بركب العالم المتحضر وهو وهم وهذا استطاع الغرب أن يجعل الدول النامية والصغرى لا تتقدم وإنما تعيش في وهم التقدم فقط لأنه حريصاً كل الحرص على جعل هذه الدول أو ما يسمى بالعالم الثالث بمثابة سوق استهلاكية فقط لمنتجات الغرب المتقدم، وإذا كانت علوم الغرب إبان ازدهار دولة الإسلام هي أثمن ما اكتنزوه خلال تاريخهم المديد فلماذا لا يعني المتميزون والعلماء من رجال الفكر والسياسة

بتشجيع أحباء ذلك النوع من العلوم والتراث الذي يصلح لإحياء حضارة عربية إسلامية (تتخذ من الأصالة الذاتية منطلقاً لها في عصر السباق العلمي العجيب الذي نشهد كل يوم، بل كل ساعة، انجازاته الرائعة) (مرحبا،1998، 9).

وعليه لابد أن نجمع بين الإسلام والمعاصرة ونستفيد من القديم ونطوره ونضيف إليه الجديد ونواكب كل علوم الحضارة المعاصرة واستخدام منهج الوسطية الذي أخذ به المفكرون مثل محمد عمارة. إن هذا المنهج لا مانع من استخدامه لاعتباره منهجاً غير منغلقاً على نفسه، فهو يأخذ بالعلوم العصرية وفي نفس الوقت لا يذوب في حضارة الآخر لأنه يحتفظ بهويته الإسلامية ويجمع بين العقل والنقل، والإيمان بعالم الغيب وبعالم الشهادة، والوسطية الإسلامية تعني ضرورة وضوح الرؤية والمسار والهوية وهذه ميزة من مميزات الفكر الإسلامي فهو فقه وسطي يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير ويجمع بين فقه الأحكام، وبين فقه الواقع. ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى جعل هذا الدين وسطياً مصداقاً لقوله تعالى: { وجعلناكم أمةً وسطا } (البقرة، الآية143).

الفصل الثالث

رؤية مستقبلية حول إمكانية قيام مشروع نهوضي عربي إسلامي:

نحن العرب في أمس الحاجة إلى قيام مشروع نهوضي عربي إسلامي تحشد فيه كل إمكانيات وجهود العلماء والمفكرين وكل المبدعين ورجال الأعمال والسياسة والاقتصاد من أجل صنع غد مشرق ويكون تتويجاً لجهود علمائنا الأوائل والذين تقدموا بالحضارة الإسلامية والتي أنارت الطريق. أما الغرب عندما كان متخلفاً زمن القرون الوسطى ونظراً لتخلف العرب وتقدم الغرب على حسابهم حاول مفكرو عصر النهضة بعث الحضارة الغربية من جديد للخروج من حالة التردي والانحطاط والتخلف. إن مشكلة التداعي وتحول المجتمع العربي إلى سوق مستهلكة لمنتجات الغرب وسياسة الهيمنة والتبعية جعلت المفكرين العرب في وضع حرج أمام أمتهم وشعوبهم وذلك لفقدان الآلية والمنهج والذي يمكنهم من الخروج من هذا الوضع المتأزم ولكل الأسباب سالفة الذكر نقترح

المواجهة الجماعية من خلال مشروع نهوضي كما أسلفنا نحشد فيه كافة الطاقات والجهود لأن المشروع الحضاري مشروع جماعي ويكون العمل على هذا النحو.

أولاً: مواجهة سياسة التبعية وتغريب العقل العربي:

من المعروف عن الغرب الاستعماري أنه لا يترك شعباً من شعوب العالم حراً في اختياراته، إلا إذا تعرض لمقاومة شديدة وعنيفة بحيث تجعله يكف عن ادعاء الوصاية والحماية، وهو من وراء ذلك كله يهدف إلى استغلال خيرات الشعوب والاستحواذ عليها لمصلحته ويتركها فقيرة تعاني الحرمان، ولا يقف عند هذا الحد بل يجعلها تابعة له من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية، ويقوم باختيار النظام المناسب له حيث يسيره وفق أهوائه ومصالحه، مع مقاومة ومحاولة إحباط لكل بادرة تقدم أو تحرر من الهيمنة فضلاً عن استغلال ثروات الأمة ودعم الكيان الصهيوني الغاصب والمحتل للأرض العربية كل ذلك يجري أمام سمع وبصر الحكام المهزومين والمحبطين إلى جانب فرض الحلول الاستسلامية عليهم ونسى هؤلاء أن الإسلام يرفض الاستسلام لأنه دين القوة والعزة والكرامة والعرب لم يستغلوا نقاط الضعف في العدو بمقاطعة شركاته وبضائعه فضلاً عن الأهمية الاستراتيجية للوطن العربي وهي تشكل عاملاً من عوامل الضغط لم تستغل بعد لأن الذي يريد العبور من الشمال على الجنوب لابد وأن يمر بالوطن العربي لأنه يتحكم في المناطق البحرية مثل باب المندب، وقناة السويس ومضيق هرمز وجبل طارق وهنا تبرز الأهمية الحضارية والتي يجب استغلالها من قبل العرب.

كما عمد المستعمر إلى استخدام أسلوب تغريب العقل العربي لفرض التخلف وذلك (بتنسيب أسلوب الفكر الإسلامي زوراً وبهتاناً إلى رجال الفكر الغربي وتغيب العقل الإسلامي دون الاعتراف للشرق بأية مساهمة فعالة في بناء الفكر الإنساني) (عربيي، د:ت، 55-56). إضافة إلى أساليب الإغراء والمعروفة لدينا جميعاً من أجل هجرة العقول العربية إلى الغرب وتوفير كل أسباب الرفاهية لها لكي تساهم في تقدم حضارة الغرب ولم يتخذ العرب أية بادرة للحد من هجرة عقولها الأمر الذي جعلها تساهم في تقدم الحضارة الغربية وحرمانها من المساهمة في بناء الوطن العربي ونحن نعلم أن الحضارة الغربية تقدمت بجهود علماء العالم كله الأمر الذي جعلها تمتلك 95% من مجموع رصيد التكنولوجيا في العالم مما جعل هذا الواقع يكرس تبعية الدول النامية تجاه الدول الصناعية وهو يجعلها نائمة في الواقع وليست نامية لأن النمو يعني الزيادة والتقدم وهذه الدول تنموا منذ ستين عاماً على أقل تقدير. وهذا يتطلب دفع مبالغ طائلة ثمناً للتكنولوجيا الغربية خاصة وأن العلم المعاصر (صناعة غربية وإن ما حققه هذا العلم مؤشر مذهل وخطير) (عواد، 1992، 120).

والمشكلة إن نقل التكنولوجيا الغربية يكلف الكثير في الوقت الذي يساهم العلماء العرب فيها بحكم تواجدهم في الغرب والكثيرين منهم ساهموا في صناعة أسلحة الدمار الشامل دون أن يعلموا أن هذه الأسلحة والقنابل سوف تلقى على وطنهم الأم وكثير من الأطباء العرب في الغرب قد عالجوا الكثير من الطيارين الذين رجعوا على الفور من قصف مدنهم وقراهم، وقتل أهلهم كل ذلك يجري في ظل التغريب والاستلاب، وغياب الوعي عند الجماهير العربية، وتخلف القيادات التي تجبر شعوبها على إتباع سياساتها القائمة على تجميد الأفكار بحيث تفرض آرائها بالقوة على الجماهير (عبدالله، 2008، 242).

والعقل العربي نبه إلى الكثير من المشاكل الناتجة عن حالة التشرذم، فالمفكر العربي والعقل العربي استطاعا إيجاد مخرج وأنماط جديدة للحياة ولكن القوة السياسية من مصلحتها أن تدمر الأمة العربية لأن وحدة المصالح الأجنبية التقت مع مصالح الرجعية الأمر الذي نتج عنه تحالف الطرفين والإشكالية الكبيرة تكمن في الهوة الكبيرة بين المفكرين والسياسيين كما أسلفنا في الوطن العربي، الاستهلاك، سياسة الإلهاء (وإيجاد أنماط جديدة للحياة على النمط الغربي محو الهوية العربية قدر الإمكان وإبعاد الشخصية الإسلامية بطمسها) (الجندي، د:ت، 151).

كل ذلك من أجل الترويج للنمط الغربي في كل شيء، إتباع الشعوب العربية للنظام الرأسمالي لعدة سنوات طويلة لم يحقق لها التقدم ولو لخطوة واحدة بل جعلها تغرق في الديون وتحويلها إلى مجتمعات استهلاكية فقط لا تنتج وإنما هي مجرد سوق استهلاكية لمنتجات الغرب.

ثانياً: الاستفادة من تقنية الغرب مع المحافظة على الهوية:

عندما قامت الحضارة الإسلامية على أساس العلم والدين في وقت كان الغرب فيه يعاني الجهل والتخلف لم يحتكر المسلمون العلم بل فتح المسلمون جامعاتهم ومكتباتهم أمام طلاب العلم على مصراعيها وخاصة الطلاب الوافدين من أوروبا الذين أظهروا رغبة ملحة في تلقي العلم وترجمة كل كتب العلماء المسلمين إلى اللاتينية ونقلها إلى أوروبا ونظراً لعالمية الحضارة الإسلامية باعتبارها حضارة إنسانية سمحت بترجمة الكتب والمراجع في وقت كان الغرب فيه يضمر سوء النية، والقصد هو نقل تراث الحضارة الإسلامية وتغريب العقل العربي بقصد تقدم الغرب وتخلف العرب وهذا ما حدث بالفعل إلى جانب ظروف الاستعمار وتغير السياسة الدولية وظهور حكام ضعاف في الوطن العربي همهم اللهو وشرب الخمر والشعر والمدح لمدة خمسمائة سنة بحيث تقدمت أوروبا وتخلف العرب وأمام هذا الوضع المتردي وحالة الانحطاط يجب أن لا نفقد الأمل ونصاب باليأس والإحباط إلى الأبد بل يجب علينا الاستفادة من تقنية الغرب بكل الوسائل المتاحة عن طريق إرسال البعثات والتعرف على كل الأجهزة التي تستوردها وتشتريها بالمال وكشف أسرارها

ومحاولة تصنيعها حتى لا نكون مجرد مستهلكين أو نقل التقنية عن طريق دول أخرى عندما ترفض الدولة المصنعة ذلك لأن التقنية أخذت منا في الأصل ومن حقنا استرجاع ما سرق منا وهذا واجب على العلماء ورجال السياسة في الوطن العربي إضافة إلى تشجيع المبدعين والعلماء في الداخل وتوفير لهم كل الإمكانيات التي تجعلهم يستمروا في بحوثهم مع توفير الحماية لهم ومساعدتهم في الحصول على براءة إنتاجهم حتى لا تسرق وتستغل من قبل الآخرين لأن طبيعة العصر الذي نعيش فيه تحتم علينا ذلك بل نجد أنفسنا مدفوعين إلى العودة مجدداً إلى الثورة العلمية لأن الحضارة المعاصرة حضارة العلم (أبوريان، 1983م، 6).

ونحن فعلاً في حاجة إلى ثورة علمية في الوطن العربي لأن التقدم التقني والمبتكرات العلمية تتعقد كل يوم وتزداد خطورتها ولابد لنا من المساهمة في الحضارة المعاصرة حتى يكون لنا مكان فوق الأرض وتحت الشمس هذا مع المحافظة على هويتنا وأصالتنا حتى وإن كنا في عصر العولمة التي يريد الغرب فرضها على العالم خاصة وأن ديننا الإسلامي يدعونا على العلم والأخذ بكل أسباب القوة لقد أصاب ابن رشد عندما قال: (إن الشريعة تتطلب النظر الفلسفي كما توجد استعمال البرهان المنطقي لمعرفة الله تعالى وموجوداته مستدلاً بالآية الكريمة: { فاعْتَبِرُوا يـأُوْلِى اَلأبصَرِ} (الحشر، الآية2) (عبدالله، 2008، 6).

نحن نعلم جميعاً أن الفلسفة كانت أم العلوم جميعاً ومازال لأن العالم تقوده الآن أفكار الفلاسفة والعلاج لابد أن يكون علاجاً فكرياً وصناعياً وعلمياً والمسئولية جماعية في بناء المشروع الحضاري العربي ولابد من تكاثف كل الجهود للخروج من التخلف إلى التقدم.

ثالثاً: منح مساحة كبيرة من الحرية للعلماء والمبدعين:

نحن نعلم تماماً أن شروط الإبداع العلمي تتمثل في الشك والاستقلالية والحرية وعليه فإن الكوادر العلمية الموالية تفقد شروط البحث العلمي منذ نشأتها فالموالي المتعصب لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون عالماً ومبدعاً وفي نفس الوقت فإن المبدعين لا يرضون لأنفسهم أن يكونوا موالين فيستبعدون من العملية العلمية إما طواعية أو إكراهاً.. هكذا أخذت تفرغ الجامعات والمعاهد العربية من العلماء وتبقى مكاناً لتفريغ الأنصار والموالين المستضعفين في الأرض وليس لإنتاج العلم، مما ينعكس على العلم والمجتمع ككل.

ونظراً لتبعية المؤسسات العلمية القائمة في البلدان العربية إلى الأنظمة فإن الأنظمة تتحكم فيها كما تشاء وتستخدم حتى لقمة العيش للأساتذة والباحثين العلميين وسيلة لإخضاعهم لإرادتهم، وهكذا يصبح كل نشاطهم مهما صغر شأنه أو كبر، كمسألة المساهمة في الندوات والملتقيات العلمية في الداخل والخارج حكراً على الأنصار الموالين وربما هذا ما دفع محمد عبدة إلى القول:

(الحكام أقدر الناس على انتشال الأمة مما سقطت فيه. حيث إن الحكام حينما يكون همهم السياسي تسخيراً لابد أن لأهوائهم وإذلال النفوس، لخشونة سلطانهم، وابتزاز الأموال لإرضاء شهواتهم لا يرعون في ذلك عدلاً ولا يستشيرون كتاباً ولا يتبعون سنة حتى أفسدوا أخلاق الكافة بما حملوه على النفاق والكذب والغش) (عبده د:ت،، 218).

الخاتمة:

من خلال مناقشتنا لموضوع العلوم عند العرب اتضح لنا بجلاء أن مشكلة تعثر العلوم العربية تتعلق ببناء المؤسسات المستقلة، والتي تتمتع بحرية النقد والشك والإبداع. فالتجرد والشك المنظم من أهم أركان البحث العلمي، إن أي اكتشاف علمي جديد لابد أن يستند على الشك ونقد القديم، فتطور العلم سيتعارض مع المصالح والمعتقدات القائمة خاصة التي تدعي الكمال وامتلاك الحقيقة وادعاء امتلاك الحقيقة خطأ كبير وهذه المعتقدات سواء كانت مبنية على أسس دينية أو سياسية أو اجتماعية أو علمية لأن العقلية العلمية تتصف بالشك وعدم التسليم بثبات الأمور على حالها.

وبعد الأخذ بهذا المبدأ الذي يعد من أركان البحث العلمي المبني على منهج الشك من أهم الثورات التي عرفها العقل والفكر الإنساني.

وهذا ما افتقدته المجتمعات العربية فالمدارس كانت تتبع المذاهب الفقهية التي يريدها الشيخ وليس المؤسسة، أو إلى النظام السياسي الدكتاتوري المتخلف والذي يريد فرض فلسفته الخاصة وأهدافه وتوجهاتها كما إنه يؤمن بحقائق متخلفة وثابتة تلغي الأخر وتهمشه في الوقت الذي يجب فيه على الفاعلين في الحقل المعرفي أن لا يكون لهم لون محدد ولا تشوبهم شائبة بسبب انتمائهم إلى مجموعات مختلفة، مجتمعية أو عرقية أو دينية أو مذهبية أو حزبية.

وهكذا أصبحت قيم البحث المجرد والشك المنظم غريبة منبوذة في أواسط النخبة من المفكرين العرب الذين عملوا في الحقل المعرفي وترادفت فكرة الخلق والإبداع بشكل عام مع الضلالة، إن لم نقل الزندقة، وأهم الخطوات التي تساعد العلم العربي في استعادة منهج متطور سليم يتخلص من كل المعوقات ضمن بيئة اقتصادية اجتماعية سياسية سليمة تقود إلى مؤسسة علمية جديدة تتمتع بالحرية الأكاديمية والحماية القانونية متحررة من عقدة الخوف من السلطات وطرق الإقتاء المتخلفة التي تبيح دم العلماء على الرغم من مخالفة ذلك لجميع الشرائع السماوية كما إنه من الضروري دراسة تأثير عملية التطور الاقتصادي والاجتماعي على مسيرة العلم وتطوره. إن اعتماد المجتمعات العربية الإسلامية على الإنتاج الزراعي والواقع المناخي الملائم وتقبل العيش في حدود الاكتفاء الذاتي، لم يضع أمام العرب نفس التحديات التي انتصبت أمام المجتمعات الأوروبية وساهمت في الانتقال إلى مرحلة التصنيع والثورة الصناعية التي تعد من دعائم تطور العلم والبحث العلمي، إن

التطور الاقتصادي الاجتماعي يدفع مسألة البحث العلمي قدماً إلى الأمام، أما المجتمعات الاستهلاكية فلا توجد فيها البيئة المناسبة لتقدم العلوم وإن لم تأخذ البلدان العربية بسبل التقدم الصناعي التقني، والتكامل الاقتصادي العربي، فكل حديث عن التقدم العلمي يبقى دون جدوى.

وببساطة نقول من أولويات تطور العلم ربطه بالاقتصاد، وتحول العلم إلى فائدة يلمس الإنسان ضرورتها وفضلها.

ومما لا شك فيه أن أي بلد عربي ينشد التقدم العلمي عليه تدارك تلك السلبيات، بعيداً عن الخوف من القوانين الاستثنائية الطارئة، وخلق المناخ الديمقراطي الحر السليم للتطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتقدم العلمي المبني على أسس مؤسسية حقيقية لا استعراضية أو كرنفالية وما لم تأخذ بالأسس الصحيحة للتقدم العلمي ستضيع أموالنا والجهود المبذولة هباء وسنبقى نجتر الانجازات والانتصارات حتى نكون خارج التاريخ.

إن امتلاك العرب للمنهج العلمي السليم في كافة النواحي السياسية والاقتصادية والتكنولوجية هو السبيل الصحيح لانتصارهم في صراعهم التاريخي وإحقاق حقوق الشعب العربي الفلسطيني في أرضه وإقامة دولته المستقلة وليتبوأ العرب مكانتهم اللائقة بين الأمم الراقية والمتحضرة.

ومن خلال هذا المنطلق يمكننا إيجاز نتائج هذا البحث فيما يلي:

نتائج البحث:

أولاً: إيجاد منهج تفكير متطور سليم يتناسب مع متطلبات العصر وتطوره ويساهم مساهمة فعالة في المشروع النهوضي العربي.

ثانياً: رفع كافة الضغوط عن المؤسسات الجامعية وكل المراكز البحثية وإعطائها أكبر قدر من الحرية وتشجيع العلماء والمبدعين على البحث وتوفير الإمكانيات اللازمة للبحث العلمي.

ثالثاً: نقل التقنية بكل الوسائل المتاحة والوقوف على كل أسرار الأجهزة والمواد المصنعة بدلاً من الاكتفاء بالاستيراد والاستهلاك فقط.

رابعاً: تشجيع العلماء والمبدعين ومنحهم المكافئات التشجيعية أسوة بالفنانين والشعراء.

خامساً: تشجيع العقول العربية الموجودة في الدول الأوروبية على العودة إلى أوطانها بكل السبل المتاحة لتساهم في تقدم أوطانها وتوفير كل الإمكانيات لهم حتى يتمكنوا من مواصلة بحوثهم ونشاطهم العلمي.

سادساً: التصدي لكل الحركات الهدامة والدعوات المغرضة والتي يقوم بها أعداء الأمة وعملاء الاستعمار والتي تهدف إلى تهميش المسلمين وإفقادهم الثقة بأنفسهم.

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج3، تحقيق عبد الواحد وافي، القاهرة، 1962م.

3- أبو حامد الغزالي، الأدب في الدين، تحقيق عبد الله أبوزينة، ط2، دار الشروق، 1980م.

4- أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن ودرره، دار الكتاب اللبناني، الكتب العلمية، 1988م.

5- ابن رشيد، بين الدين والفلسفة، رأي ابن رشيد وفلاسفة العصر الوسيط، دار قتيبة، 1988م.

6- أنور الجندي، إطار إسلامي للفكر المعاصر ومخططات التغريب، المكتب الإسلامي، بيروت، بدون تاريخ.

7- حربي عباس وحسان حلام، العلوم عند العرب، دار النهضة العربية، 1995م.

8- جيرار حجامي، موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب، ج2، مكتبة لبنان، 1983م.

9- رياض عواد، هجرة العقول العربية في الوطن العربي، شعبة التثقيف والتعبئة، 1992م.

10- زكريا إبراهيم، مشكلات فلسفية، مشكلة الحياة، مكتبة مصر، القاهرة، 1971م.

11- عيسى عبد الله، قضايا فلسفية، جامعة 7 أكتوبر، 2008م.

12- علي الشابي، المسلمون والحداثة في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية، مجلة الدعوة الإسلامية، العدد 6، 1989م.

13- علي محمد، مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، العدد 27، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1989م.

14- قسطنطين زريق، نحن والمستقبل، ط2، دار العلم للملايين، 1998م.

15- محمد عبده، الرد على هانوتو، الإسلام والمسلمون والاستعمار، الأعمال الكاملة، ج3، بدون تاريخ.

16- محمد علي أبوريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1983م.

17- مصطفى نصر المسلاتي، في مواجهة مغامرات الأفكار، مجلة الفصول الأربعة، العدد 34، رابطة الأدباء الجماهيرية، د.ت.

18- محمد ياسين عريبي، تأملات في بناء المجتمع الإسلامي، جمعية الدعوة الإسلامية، د.ت.

19- محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، دار الفيحاء، 1909م.